من المنطق اذا علمت هذا فلا حق ان ينقسم النظر ايضا بحسب الاعتبار الى الجلي والخفي
فان اجزا كل من المعرف والدليل قد تكون ضرورية تتفاوت في الجلا وقد تكون
نظرية تنتهي الى الضروري بوسايط قليلة او كثيرة وكذا الصور النتيا سيبه
للاشكال فائـدة وقع التخصيص في حديث انما الاعمال بالنيات
باموره منها ازالة النجاسة ومنها النية فقال بعضهم ومنها اول نظر يقع به
العرفان فانه من اعمال القلوب ولا يفتقر لنية للجهل بالمتقرب اليه حين
النظر وكان الشيخ ابن عرفة المالكي يقول يثاب الناظر في نظره ذلك قال الابي وهو
الذي قال الشيخ من انا يثه لا يبعد لان النظر الموصل الى المعارف واجب شرعا
وكل واجب يثاب عليه انتهى قلت نقض بعضهم الكلية بالايمان وقد ذكرنا ما يدل
في حمله على انا قدمنا في تحلية عن ابن حجر وغيره ان الايمان مما يحتاج للنية ايضا
والله سبحانه اعلم ثم ذكر متعلق النظر بقوله الى يعني في ان كان النظر بمعنى
التفكر او على معناه الوضعي من الانتهاء ان كان معناه الالتفات او التوجه
ايفكر او التفت ووجه فكر بحيث الى احوال نفسك اي ذاتك وشخصك تجدها
مشتملة على قوى ظاهرة مختلفة من سمع وبصر وكلام وشم وذوق ولمس واعراض
كذلك من طول وعرض وعمق وكثافة ولطافة وبياض وحمرة وسواد واحوال
باطنة علم وجهل وشك وظن ووهم وايمان وكفر وغضب ورضى وفرح وحزن
ولذة والم على ما نبهك عليه تعالى بقوله وفي الارض ايات للموقنين وفي
انفسكم افلا تبصرون ثم زاد ذلك وصرح لك بالانبساط الحال بقوله يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة
ما شاء ركبك ثم وبخك على غرورك وعلى ما هو اقبح من مطلقه بقوله كلا بل
تكذبون بالدين ثم انقسم تعالى من غير حاجة الى الانشاء ثم لكنه اراد ان يوصل
اليك الاعتبار على ابلغ وجه واتمه حتى لا يبقى عند نفسك الملاحة في ميدان
الغفلات السابحة في بحار الاعراض والجهالات نفي من الشكوك والاوهام
و لا ادنى شبهة تذهب اليها الافهام على انه فصل بك ما هو ابلغ من هذه
النعم واتم في الاتقان من هذه الحكم فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا
العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا
اخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم نبهك على انه تعالى لم تتعدد هذه
الافعال على وجه فيه خلل فقال بقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فانه
لم يترككم بعد هذا هملا على ما تقتضيه غفلتك عن نفسك انه وصفا لصنعة
مصنوعاته كما يشير اليه قوله تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم
يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وقوله ثم انكم بعد ذلك
لميتون

٥١

لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن
الخلق غافلين وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب
به لقادرون فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة
ومنها تاكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين وان
لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها
تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون الى غير ذلك مما يملا الاسماع ويعرف
تدبره مفاصل الاضلاع غير انك تجد تلك الامور بل ذاتك التي هي محلها
متبدلة متغيرة خرجت من العدم مرتفا يلزم له ثم تتصل بالضرورة الوجدانية
انها حادثة ومحل ازمنة للحوادث واذا كان كل ما جاز عدمه استحال قدمه
فاحرى ما وجب له سبق العدم بالفعل وليس لك ان تقول لا نسلم وجود صفات
زايدة على ذاتي متغيرة متبدلة لما سياتي بيانه بعد ان شاء الله تعالى
من اثبات ذلك عليك بالدليل ولا ان تقول لا نسلم ان ذاتي خرجت من العدم
اذ قد كنت نادني صلب ابي ثم كان ابي كذلك في صلب ابيه الى ادم ثم ادم كان
طينا وهلم جرا غاية ذاتي ان تحولت من صورة الى اخرى وتبدل الصور
لا يوجب سبق عدم محلها لما سياتي ايضا بيانه من اثبات بطلان التسلسل
بالبراهين القطعية على انك لا تنكر انك قد ادركت الان ازيد من مقدار النطفة
التي تكونت عنها فيجب ان تعترف بحدوث الزايد عليها ولا تشك انه
اتفقت بينك وبين تلك النطفة مماثلة في الجرمية والتحيز والمقدار وفي
وكل شيئين اتفق بينهما التماثل وجب استواؤهما في كل ما يجب لاحدهما
ويجوز ويستحيل وقد سلمت حدوث الزايد فيجب ان تسلم حدوث تلك
النطفة والا لزم ان يختص احد المثلين عن مثله بصفة واجبة وهو
محال لاستلزام الاختصاص بها اجتماع متنافيين وهو ان يكون الشيء مثلا
وغير مثل ثم هي للترتيب الاعتباري لا بحسب الواقع اذ لو عكس لم يضر
او جمع في نظر بين نفسه وغيرها فكذلك وجعلها للترتيب الاخباري
لا طايل تحته اي ثم بعد ان نظرت في نفسك واحقق الهيا وعوارضها
السابقة واللاحقة والمقارنة وقام عندك من ترتيب تلك الاحوال
على وجه يوصلك الى حدوثها برهانه انتقل الى نظر اخر يوصلك الى اثبات
الحدوث للعالم وهو ما سوى الله تعالى وصفاته من اجناس الموجودات
المتجانسة سميت بذلك باعتبار انها تعلم به الصانع كالطابع لما يطبع به
والخاتم لما يختم به فيقال عالم الانسان وعالم الحيوان الى غير ذلك وقد
يقال عالم الاعراض وعالم الاجسام فيفيد استغراق جل احاد اجناس
العرض والجسم فيتناول جميع افراد اجناسهما وقد يعرف باللام الاستغراقية
كما هنا مفردا او جمعا فيفيد استيعاب كل جملة مما سمي به على حد الرجل والرجال

Copyright © King Saud University